مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

# جون أ. ماكدونالد ودوره في الحياة السياسية بكندا (١٨١٥ - ١٨٦٧)

**أ.م. د. علي صالح حمدان حامد**
قسم التاريخ – كلية العلوم الإنسانية
جامعة زاخو – إقليم كردستان
جمهورية العراق

## مُلَخّص

*تحظى شخصية جون أ. ماكدونالد بالأهمية الواضحة في تاريخ كندا الحديث، إذ يُعَدّ في مقدمة الساسة الكنديين المعاصرين له بسبب الأدوار المؤثرة التي قام بها، والشخصية الأبرز التي كانت وراء صدور قانون أمريكا الشمالية المهم، والذي أسهم في بلورة عدد من النتائج المهمة في مقدمتها قيام اتحاد كندا فيما بعد. لقد كان جون أ. ماكدونالد محاميًا ورجل أعمال وسياسيًا بارزًا في بلاده منذ مطلع شبابه بسبب نشاطاته الواسعة التي قام بها، وهو ينحدر بالأصل من إسكتلندا، وكان قد ولد في ١١ كانون الثاني ١٨١٥ بعد هجرة والديه إلى كندا، وتوفي في ٦ حزيران ١٨٩١، وعبر معظم مراحل حياته، عمل مع زملائه الآباء المؤسسين لكندا، على بناء دولة قوية مبنية على أسس اقتصادية متينة، وأراد لها أن تستمد قوتها من أقاليمها المتنوعة دون تمييز بينها، وأن تكون كندا كاتحاد أقوى من أي جزء من أجزائها، وبذلك يكتب له أنه بذل الجهود المضنية وساهم مع رفاقه في تحويل رؤيته لكندا تتألف من المقاطعات المتفرقة المتباعدة وغير المنسجمة إلى دولة عصرية بعد خطوات عملية عديدة في نهاية المطاف، وسيركز هذا البحث بالدرجة الأساس على المفاصل المهمة من حياته الشخصية، إلى جانب تسليط الضوء على مشاركته السياسية في الحياة العامة لبلاده قبل أن يصبح أول رئيس لوزراء لكندا في المدة (١٨٦٧-١٨٧٣)، لما لتلك المرحلة من أهمية واضحة، والتي لم يلتفت إليها إلا القلة من الباحثين المهتمين بتاريخ كندا الحديث والمعاصر بحسب علمي.*

## بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٠ يناير ٢٠٢٢
تاريخ قبول النشر: ١٦ فبراير ٢٠٢٢

## كلمات مفتاحية:

كندا؛ ماكدونالد؛ الحياة العامة؛ تاريخ كندا الحديث؛ الولايات المتحدة الأميركية

## معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.271772

## الاستشهاد المرجعي بالمقال:

علي صالح حمدان حامد. "جون أ. ماكدونالد ودوره في الحياة السياسية بكندا (١٨١٥ - ١٨٦٧)".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد الخامس والخمسون؛ مارس ٢٠٢٢. ص ٨٢ – ٩٠.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

**Corresponding author**: ali.hamdan@uoz.edu.krd
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةُ

يُعَدّ جون أ. ماكدونالد مع عدد من الساسة الكنديين القلائل، المحرك الأهم وراء صدور قانون أمريكا الشمالية، والذي أسفر عن قيام اتحاد كندا فيما بعد، وهو محامٍ ورجل أعمال وسياسي بارز من أصل اسكتلندي، ولد في ١١ كانون الثاني ١٨١٥ وتوفي في ٦ حزيران ١٨٩١ بعد حياة حافلة بالأحداث والمواقف البارزة، إذ أراد جون أ. ماكدونالد وزملاؤه الآباء المؤسسين، لكندا أن تستمد قوتها من مقاطعاتها وأقاليمها المتنوعة ككل، وبذل الجهود المضنية وساهم في تحويل رؤيته لكندا إلى واقع ملموس بعد أعوام طويلة من الخدمة العامة، وهذا البحث يتناول حياته ورؤيته ومشاركته السياسية تلك بصورة مكثفة.

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول مرحلة مهمة من حياة جون أ. ماكدونالد قبل أن يصبح أول رئيس وزراء لكندا في المدة (١٨٦٧-١٨٧٣)، وفي المدة (١٨٧٨-١٨٩١)، وهي مرحلة لم يكتب عنها إلا قليلاً، فضلاً عن ندرة البحوث عن تاريخ كندا الحديث والمعاصر بصورة عامة في جامعاتنا، مما يشكل نقصًا واضحًا في مكتبتنا التاريخية العربية. جرى تقسيم البحث، إلى مقدمة ومباحث عدة وذيل بخاتمة وقائمة بالمصادر، حيث خصص المبحث الأول لنشأة ودراسة جون أ. ماكدونالد، فيما كرس المبحث الثاني لمشاركته في الحياة العامة، إلى جانب أن المبحث الثالث تطرق إلى مساهمته في بلورة فكرة إقامة حكومة كندية مستقلة، فضلاً عن المبحث الرابع والذي تطرق إلى تبوأ جون أ. ماكدونالد زعامة كندا العُليا (١٨٥٦ - ١٨٦٢)، إلى جانب الخاتمة وقائمة المصادر.

اعتمد الكاتب على المنهجين الوصفي والتحليلي للوصول إلى صورة واضحة للمشهد الكندي في وقت مبكر من تاريخه الحديث، عبر رصد التحولات المهمة التي شهدتها سياستها المحلية، وتأثير السياسة الخارجية على تطورها، وتحولها من مقاطعات متفرقة إلى دولة اتحادية متماسكة. استفاد البحث من المصادر المتنوعة، والتي عملت على سد الثغرات التي اعترت الكتابة عن تاريخ هذه الدولة المهمة، ومن أهم المصادر الكتب التي كتبها المؤرخون الكنديون إلى جانب الموسوعات الإلكترونية الوطنية لكندا وبريطانيا، فضلاً عن الأبحاث والمقالات المنشورة على الشبكة الدولية للمعلومات، لاسيما المكتوبة باللغة الإنكليزية، لندرة ما كتب عن التطورات الداخلية في كندا باللغة العربية بصورة عامة.

## أولاً: النشأة والدراسة

ولد جون أ. ماكدونالد في مدينة غلاسكو بإسكتلندا في ١١ كانون الثاني ١٨١٥[١]، لوالدين هما: هيو ماكدونالد، وهيلين شو[٢]، حيث جرى إحضاره من قبل والديه إلى كندا في سن الخامسة وتحديدًا في عام ١٨٢٠[٣]، تجدر الإشارة إلى أن المهاجرين إلى كندا، كانوا يأتون بالقوارب في تلك الأيام عادة، عبر قطع رحلة طويلة نحو مونتريال عن طريق البر، والتي كانت تستغرق عدة أسابيع، وهم يشقون طريقهم عبر الغابات الخضراء، فيما كان معظم المهاجرين غربًا يواصلون سيرهم على متن أي مركب شراعي متوفر، أو عن طريق إحدى السفن البخارية التي كانت تبدأ بالحركة صعودًا وهبوطًا عبر طريق طويل يمتد بين المنحدرات التي تقع في أعالي سانت لورانس تحديدًا [٤].

استقرت عائلة جون أ. ماكدونالد في كينغستون والتي تعرف بأونتاريو مثل غيرها من العوائل المهاجرة [٥]، إذ أدار والده والذي كان تاجرًا غير ناجح في غلاسكو، سلسلة من الأعمال التجارية في كينغستون وبلدة ادولفوستاون، وعلى الرغم من أنه لم يكن رجلاً ثريًا، فقد حقق شهرة محلية كافية ليتم تعيينه قاضيًا في منطقة ميدلاند منذ عام ١٨٢٩[٦]. حرص هيو ماكدونالد وزوجته على أن يتلقى ابنهما جون تعليمًا جيدًا عبر الاستفادة مما كان متاحًا في ذلك الوقت، حيث التحق الأبن بمدرسة ميدلاند في المدة (١٨٢٧-١٨٢٨)، وكذلك بالمدرسة الخاصة المختلطة في كينغستون لاحقًا، وتلقى تعليمًا عامًا تضمن دراسة اللغات اللاتينية واليونانية، والحساب والجغرافيا، إلى جانب قواعد اللغة الإنكليزية والبلاغة [٧].

درس جون أ. ماكدونالد في كل من كينغستون، لينوك، ادينغتون، وجزيرة الأمير إدوارد المجاورة [٨]، وأمضى أعوام دراسته الأولى بمدرسة خاصة والتحق كذلك بالدورات التدريبية، مما ساهم في ترسيخ جذور عائلته في مسقط رأسهم الجديد، كما أظهر ميلاً واضحًا لدراسة القانون في بدايات أعوام المراهقة [٩]. تلقى الشاب جون أ. ماكدونالد التدريب المناسب لاختياره في المهنة القانون، لاسيما أنه كتب في عام ١٨٣٠[١٠]، مقالاً بالاشتراك مع محام بارز في كينغستون وهو لايزال في الخامسة عشرة، كما أدار مكتبًا قانونيًا بنفسه وهو في السابعة عشرة من عمره [١١]، وببلوغه السن التاسعة عشرة، كانت له أعماله القانونية الخاصة[١٢]، إلى جانب أنه حل محل ابن عمه لوثر بنينغتون ماكفيرسون في إدارة شركة للمحاماة في هالويل في المدة (١٨٣٣-١٨٣٥) ، وافتتح شركته الخاصة في كينغستون في آب

١٨٣٥، قبل ستة أشهر من استدعائه رسميًا إلى التسجيل في نقابة المحامين في ٦ شباط ١٨٣٦[١٣].

أظهر الشاب جون أ. ماكدونالد أهتمامًا واضحًا بالشؤون العامة منذ سن مبكرة، فقد كان طموحًا وبحث عن الفرص أينما وجدها، حتى أنه أصبح سكرتيرًا لمجلس منطقة الأمير ادوارد التعليمي في مقتبل عمره، وجمعية هالويل للشباب، وفي كينغستون أصبح سكرتيرًا للجمعية الوطنية في عام ١٨٣٦، ومن ثم رئيسا ًلجمعية الشبان في كينغستون في عام ١٨٣٧، ونائبًا لرئيس جمعية سانت أندرو في عام ١٨٣٩، وأصبح معروفًا كمحامي ورجل أعمال ومواطن يتمتع بالحيوية والنشاط في الشؤون العامة منذ ذلك الوقت [١٤].

## ثانيًا: المشاركة في الحياة العامة

اعترت حياة جون أ. ماكدونالد، الكثير من الأحداث المؤثرة المتلاحقة، والتي تركت نتائج مهمة عملت على صقل شخصيته فيما بعد، ففي الوقت الذي كانت الأمور تسير في اتجاه تنمية مختلف المقاطعات الكندية المختلفة، شهدت تلك المقاطعات العديد من الاضطرابات والتمردات الشعبية ضد السلطات البريطانية، والتي تركت آثارها على جون أ. ماكدونالد بصورة خاصة، وعلى البلاد بصورة عامة، بسبب أحداث العنف الدموي التي رافقتها، والتي أظهرت هشاشة الوضع في المقاطعات، وحاجتها إلى المزيد من الوقت للتوحد وبناء أواصر الأمة المنسجمة مع نفسها، والقادرة على الوقوف في وجه التعديات البريطانية عليهم.

كان جون أ. ماكدونالد في الثانية والعشرين من عمره، عندما بدأ التمرد في كندا العُليا والسفلى، مع قادة مثل ويليام ليون ماكنزي (١٧٩٥-١٨٦١)، حيث طالب هؤلاء المتمردون بحكومة أكثر استقلالية للمستعمرات البريطانية في القارة الأمريكية الشمالية، إذ كان ويليام ليون ماكنزي بالأصل جنديًا وشارك في عدة غارات شهدتها تلك المقاطعات، كما كان صحفيًا سياسيًا اسكتلندي المولد، ومن أشد منتقدي الميثاق الذي أعده نخبة من المسؤولين ورجال الأعمال الذين كانوا يديرون المستعمرة، كما عارض مع أتباعه نظام منح الأراضي التي تفضل المستوطنين من بريطانيا على أولئك الذين لديهم علاقات مع الولايات المتحدة[١٥].

أقنع ويليام ليون ماكنزي أتباعه الأكثر تطرفًا في عام ١٨٣٧، وبعد أعوام من بذل الجهود المضنية لأجل التغيير السلمي، بمحاولة السيطرة على الحكومة وإعلان الجمهورية، إذ تجمع حوله نحو (١٠٠٠) تابع، كان معظمهم مزارعون من أصل أمريكي، ولمدة أربعة أيام من شهر كانون الأول في تورنتو، وتحديدًا في ٥ كانون الأول، سار عدة مئات من المتمردين المنظمين قليلي التسليح جنوبًا وتبادلوا إطلاق النار مع مجموعة أقل عددًا من الميليشيات الموالية للتاج البريطاني[١٦]. أسفر اشتباك المتمردين مع الجنود البريطانيين والمتطوعين، قيام المتمردين بنهب وحرق المستوطنات الفرنسية على نطاق واسع، إلى أن هزموا، حيث فر قادة المتمردين إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبمساعدة المتطوعين الأمريكيين، اندلع تمرد ثان في تشرين الثاني ١٨٣٨، سرعان ما تم إخماده، وأعقب ذلك المزيد من أعمال النهب والدمار[١٧].

بالتزامن مع ما تقدم، طلب رئيس الوزراء البريطاني اللورد ملبورن (١٧٧٩-١٨٤٨) من اللورد دورهام (١٧٩٢-١٨٤٠) السفر إلى المقاطعات بصفته الحاكم العام لأمريكا الشمالية البريطانية لتقييم التوترات السياسية، حيث نشر دورهام تقريرًا أوصى بتوحيد كندا السفلى والعُليا في خطوة لتوحيد المقاطعات في أمريكا الشمالية البريطانية، وفي عام ١٨٤٠، وحد قانون الاتحاد كندا العُليا والسفلى في مقاطعة واحدة في كندا[١٨]. كان عمل جون أ. ماكدونالد المبكر في مجال القانون، قد تزامن مع التمرد في كندا العُليا والغارات الحدودية اللاحقة من قبل الولايات المتحدة، حيث كان في تورنتو في كانون الأول ١٨٣٧، وشارك في الهجوم على المتمردين في مونتغمري، وجذب انتباه الجمهور من أبناء منطقته عبر الدفاع عن المتمردين المتهمين في عام ١٨٣٨[١٩].

لفت جون أ. ماكدونالد الأنظار إليه بكونه محاميًا لامعًا أكثر فأكثر، لاسيما بعد توليه عددًا من القضايا الصعبة بما في ذلك سلسلة من القضايا في عام ١٨٣٨ شاركه فيها نيلز فون شولتز وآخرين متهمين بالتورط في تمرد (١٨٣٧-١٨٣٨)، واكتسب سمعة عالية لسرعة ذكاءه، وفي عام ١٨٣٩ جرى تعيينه محاميًا في البنك التجاري لمنطقة ميدلاند، وعُين مديرًا لها فيما بعد، واهتم بشكل أساسي بقانون الشركات، لاسيما بعد أن اكتسب ثقة المؤسسة المالية الرئيسية التابعة للشركة والتي كانت قد تأسست في عام ١٨٤٣ [٢٠].

تأثرت آراء جون أ. ماكدونالد السياسية بالنزعة المحافظة المعتدلة، لكنها التزمت أيضًا بالمفاهيم التقليدية مثل دعم الدولة للمؤسسات الدينية، والقيادة من قبل النخبة، وفي أعوامه الأولى في الجمعية التشريعية، أثبت أنه محافظ حقيقي، ويعارض الحكومة المستقلة، ومع ذلك، لم يكن يومًا محافظًا بمعنى الكلمة، إذ كان نهجه في السياسة منذ البداية عمليًا، فقد

جعلت الظروف من المستحيل عليه، أو على أي سياسي محافظ آخر، التمسك بالمواقف السياسية التي عفا عليها الزمن وقتذاك، منها أن انتقال السلطة من الحاكم ومستشاريه إلى السياسيين المنتخبين والقبول التدريجي بسياسات الحزب، وخلق نظام لا يمكن معه الحفاظ على الآراء الإقصائية [٢١].

في السياق ذاته، كانت مدينة كينغستون قد تحولت في تلك الفترة إلى مركز مهم في كندا العُليا، وأصبحت عاصمة المقاطعات المتحدة منذ عام ١٨٤١، حيث حافظت على ذاك الدور لمدة ثلاثة أعوام، إلى أن جرى نقل الحكومة إلى مونتريال، كما ارتفع عدد سكان في عام ١٨٣٠ من (٣٨٠٠) نسمة إلى (٤٥٠٠) بحلول منتصف العقد، مما جعل كينغستون ثاني أكبر مركز اكتظاظًا بالسكان في كندا العُليا، وواحدة من أهم الدوائر الانتخابية الست، ومن الناحية الاقتصادية، برزت أهميتها كمركز تبادل في تجارة أمريكا الشمالية، وفي مجال تجارة الخشب والماشية والحبوب نافستها تورونتو فقط؛ كما أصبحت نقطة محورية في شبكة النقل المبكرة، وفي المجال السياسي، عملت على صقل سمعتها كمعقل مهم لحزب المحافظين، إلا أنه عندما تم نقل مركز الحكومة إلى مونتريال، عانت المدينة من خسارة في عدد السكان ووصل العدد إلى (١٧٠٠) نسمة فقط، وبحلول أواخر القرن التاسع عشر، كان من الواضح أن كينغستون قد أصبحت بعيدة عن اللحاق بالمنافس القديم تورنتو، وكذلك المدن الصناعية الجديدة في غرب أونتاريو [٢٢].

## ثالثًا: المساهمة في بلورة فكرة إقامة حكومة كندية مستقلة

التقى روبرت بالدوين (١٨٠٤-١٨٥٨) مع اللورد دورهام في عام ١٨٣٨، والذي قام بشرح مبادئ الحكومة المستقلة، وأوصى تقرير اللورد دورهام في كانون الثاني ١٨٣٩ بضرورة تشكيل الحكومة المستقلة للمساعدة في تخفيف التوترات الحاصلة في كندا العُليا والسفلى[٢٣]، إذ ندد حزب المحافظين في كندا العُليا بتقرير دورهام ذاك. ومع ذلك، رحب المصلحون في نوفا سكوشا بفكرة الحكومة، حيث اتحدت كندا العُليا والسفلى كمقاطعة كندا منذ عام ١٨٤٠، وسعى المصلحون بالتعاون مع حكام بريطانيين لتأسيس حكومة مستقلة منظمة وفاعلة[٢٤].

دعم المحافظون في مونتريال فكرة الاتحاد، فقد رأوا في ذلك وسيلة للتغلب على المعارضة الكندية الفرنسية لخططهم للتنمية الاقتصادية، فيما عارض الكنديون الفرنسيون الاتحاد وكانوا مصممين على الدفاع عن جنسيتهم، إلا أنه وفي النهاية، قبلت الحكومة البريطانية التوصية الخاصة باتحاد كندا، وظهرت كندا الموحدة إلى حيز الوجود في عام ١٨٤١، وحكمها هيئة تشريعية مشتركة كان فيها الغرب الكندي المشكل حديثًا، عددًا متساويًا من المقاعد، ولكن نظرًا لأن عدد سكان كندا الغربية كان أقل، أصبح تمثيل السكان الفرنسيين في كندا الشرقية ناقصًا، لكن كانت أكثر من اللازم بالنسبة للحكومة البريطانية في لندن، إذ كانوا يعتقدون أن السيطرة على المستعمرات ضرورية للحفاظ على الولاء لبريطانيا[٢٥]، وبالنهاية تألف المجلس التشريعي الموحد من عدد متساو من الممثلين من كلا المقاطعتين، وتم تشكيل حكومة مستقلة في مقاطعة كندا بنهاية المطاف عام ١٨٤٨، وقد مر ما يقرب من عشرين عامًا قبل أن تتحد مع عدد من المستعمرات في ظل الاتحاد الذي تم تقديمه مع قانون أمريكا الشمالية فيما بعد[٢٦].

أصبح جون أ. ماكدونالد عضوًا في المجلس المحلي لكينغستون في المدة (١٨٤٣-١٨٤٦)[٢٧]، وبعد توحيد البرلمان في كندا الغربية وكندا الشرقية بموجب قانون الاتحاد كما سبق الإشارة إليه، انتخب كمحافظ لكينغستون في عام ١٨٤٤[٢٨]، وكذلك في الجمعية التشريعية لمقاطعة كندا، والتي تكونت من اونتاريو وكيبيك [٢٩]، وتجدر الإشارة إلى أنه منذ عام ١٨٤٨، أصبحت نوفا سكوشا أول مستعمرة بريطانية تحكمها حكومة مستقلة[٣٠]. لقد اتسمت حياة جون أ. ماكدونالد الشخصية في تلك المرحلة بوقوع عدد من المصائب المتلاحقة، إذ توفي والده في عام ١٨٤١[٣١]، كما تزوج من ابنة عمه إيزابيلا كلارك (١٨١١-١٨٥٦) [٣٢]، والذي كان قد التقى بها عندما جاءت إلى كينغستون لزيارته عام ١٨٤٢، حيث تزوجا بعد عام[٣٣]، إلا أنها أصيبت بأمراض مزمنة في غضون عامين من زواجهما، وعانت من نوبات الألم، وأنجبت منه طفلين، وفي كلتا الحالتين كانت حالات الحمل والولادة صعبة للغاية، إذ توفي الطفل الأول جون الكسندر عن عمر يناهز ١٣ شهرا[٣٤]، في حين نجا ابنه الثاني هيو جون من مواليد ١٨٥٠، فيما توفيت إيزابيلا عام ١٨٥٧[٣٥]، بعد زواج غير سعيد[٣٦]، وتزوج من جديد سوزان اغنيس برنارد (١٨٣٦-١٩٢٠) في عام ١٨٦٧، ورزق منها بابنة واحدة[٣٧]، هي ماري في عام ١٨٦٩، والتي كانت قد أصيبت بالشلل ولم تمشِ قط، رغم أنها عاشت حتى عام ١٩٣٣[٣٨].

ومع ما تقدم، سرعان ما أثمرت خدمات جون أ. ماكدونالد على المستوى المحلي لدخوله في السياسة عبر الانتخابات العامة في تشرين الأول ١٨٤٤، فقد ترشح في كينغستون كمحافظ، مؤكدًا إيمانه الكبير بالعلاقة مع بريطانيا، وتفانيه في خدمة مصالح كينغستون ومناطقها النائية في الوقت ذاته، حيث

جرى انتخابه بفارق كبير[٣٩]، وتولى منصب المدعي العام في كندا الغربية فيما بعد.[٤٠] لقد واصل جون أ. ماكدونالد ممارسة المحاماة مع عدد من الشركاء المحليين في كينغستون، ثم في تورنتو في الوقت ذاته، حيث عملت شركته في المقام الأول في مجال التجاري، وكان عملائه من رجال الأعمال والشركات المهمة، كما كانت له اهتماماته التجارية في مجال العقارات في أربعينيات القرن التاسع عشر، واستحوذ على الأراضي في أجزاء عدة من المقاطعة بما في ذلك العقارات المؤجرة في وسط مدينة تورنتو، كذلك عُيِّن مديرًا للعديد من الشركات والتي كانت تعمل في كينغستون [٤١].

كما شارك في تطوير تجارة الأراضي والمضاربة طوال أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر، فقد اشترى وطور عددًا من الممتلكات أولاً في كينغستون، ثم في غويلف وتورنتو، واشترى وباع عبر الوكلاء المزارع والأراضي في أجزاء كثيرة من المقاطعة أيضًا، كما عمل كوكيل للمستثمرين البريطانيين لشراء العقارات الكندية[٤٢]. دخل جون أ. ماكدونالد السياسة بصورة أكثر جدية عبر الترشح لعضوية مجالس البلديات، إذ عمل كعضو مجلس محلي في كينغستون في المدة (١٨٤٣-١٨٤٦)، وقام بدور نشط بشكل متزايد في السياسة المحافظة وفي عام ١٨٤٤، وانتخب في الجمعية التشريعية في مقاطعة كندا لتمثيل كينغستون [٤٣]، وفي عام ١٨٤٧، خسرت حكومة المحافظين، فيما ظل هو في المعارضة حتى عام ١٨٥٤، وفي عمر التاسعة والثلاثون عامًا شكل تحالفًا سياسيًا معروفا باسم حزب المحافظين الليبراليين [٤٤].

لم تمنح بريطانيا الحكم الذاتي المحلي للمستعمرات حتى عام ١٨٤٧، لاسيما أن الحكومة المنتخبة حديثا في لندن كانت حريصة على تقليل الانفاق، وفي عام ١٨٤٨، أسس المصلحون في نوفا سكوشا بمن فيهم جوزيف هاو (١٨٠٤-١٨٧٣) أول حكومة، وفي وقت لاحق من ذلك العام، شكل الإصلاحيون حكومة مستقلة في مقاطعة كندا، وجرى الأمر ذاته في نيوبرونزويك، وجزيرة الأمير إدوارد، ونيوفاوندلاند لاحقًا[٤٥]. الجدير بالذكر، أن نوفا سكوشا كانت أول مستعمرة بريطانية في أمريكا الشمالية تحصل على حكومة مستقلة في المدة (١٨٤٧-١٨٤٨)، فيما أسس حاكم كندا المتحدة اللورد الجين (١٧٦٦-١٨٤١) بتشجيع من لندن، الحكومة والتي أكدت على أن الحكومة إذ خسرت التصويت على الثقة في المجلس فعليها الاستقالة، حيث أصبح السياسي لافونتين أول زعيم للحكومة في كندا[٤٦].

كما كانت أول تجربة سياسية واسعة لجون أ. ماكدونالد كعضو في مجلس الوزراء في المدة (١٨٤٧-١٨٤٨)، عندما خدم كمستلم عام لمدة سبعة أشهر، وكمفوض لإراضي التاج في الإدارات التي يرأسها ويليام هنري دريبر(١٨٠١-١٨٧٧) وهنري شيروود (١٨١٣-١٨٩٦)، حيث أثبت أنه مسؤول ناجح وحتى إداري إصلاحي، لكن مبادرته السياسية الرئيسية كانت وضع مشروع قانون المنح الجامعية في كندا العُليا في عام ١٨٤٧، ومع أنه لم يتم تمريره لكن جون أ. ماكدونالد عكس نزعته المحافظة في محاولة لتوجيه مسار وسط بين سياسة الإصلاح ومن أجل إحياء ودور كلية تورنتو، اقترح تقسيم المنح الجامعية، وفي عام ١٨٤٨ استقال من الحكومة لإفساح المجال لإدارة الإصلاح بزعامة روبرت بالدوين، ولافونتين (١٨٠٧-١٨٦٤) [٤٧].

لم يشغل جون أ. ماكدونالد منصبه مرة أخرى حتى أيلول ١٨٥٤، عندما أصبح المدعي العام لكندا العُليا في الحكومة الإئتلافية المشكلة حديثًا من قبل الان نابير ماكناب (١٧٩٨-١٨٦٢)، واوغستين نوربرت موران (١٨٠٣-١٨٦٥)، وبرز دوره في تشكيل هذا التحالف بصورة واضحة، وفي عام ١٨٦١، قام بتشكيل التحالف الليبرالي المحافظ بنفسه [٤٨]. ثابر جون أ. ماكدونالد بجد على الترويج الكبير لرابطة أمريكا الشمالية في المدة (١٨٤٨-١٨٥٤)، عندما كان حزبه في المعارضة، بهدف توحيد كندا وتقوية روابطها مع بريطانيا، وأدى تعاطفه المتزايد مع الإصلاح إلى تشكيل حكومة ائتلافية في عام ١٨٥٤ مع جورج اتيان كارتييه زعيم كندا الشرقية[٤٩].

مع أن حزب جون أ. ماكدونالد لم يكن في السلطة في المدة (١٨٤٨- ١٨٥٤)، إلا أن جهوده المبذولة لتعزيز مصالح دائرته الانتخابية، كانت واضحة، حيث قدم تشريعات تتناول مسائل مهمة مثل دعم ديون كينغستون في هيئاتها الدينية والتعليمية؛ والترويج للشركات مثل شركات الطرق والسكك الحديدية وشركات التأمين والمؤسسات المالية وشركات الغاز والمياه، لاسيما أنه كان لجون أ. ماكدونالد مصلحة مالية شخصية في تلك الأعمال، حيث نجح في دائرة انتخابية وأعيد انتخابه في سبع انتخابات متتالية في المدة (١٨٤٤ – ١٨٦٧)، وفي ثلاث انتخابات للمجلس الاتحادي في المدة (١٨٦٧– ١٨٧٤) [٥٠].

## رابعًا: تبوأ جون أ. ماكدونالد زعامة كندا العُليا (١٨٥٦ - ١٨٦٢)

أصبح جون أ. ماكدونالد زعيمًا لكندا العُليا ليحل محل ماكناب في عام ١٨٥٦، وكانت الطريقة التي تولى بها السيطرة موضع الجدل بين معاصريه، لاسيما بعد تعرض ماكناب

لانتقادات متزايدة بسبب سمعته الطويلة وعدم فعاليته المتزايدة بسبب اعتلال صحته، ولاشك أن كان يجب أن يستقيل لكنه رفض، مما جعل من الضروري إبعاده عن منصبه حتى يمكن إعادة بناء الحكومة، ولا يبدو أن جون أ. ماكدونالد تصرف بدافع الطموح الشخصي فقط ؛ بل كان مقتنعًا بأن الأخير يجب أن يرحل، لذا شارك في الإطاحة به، أولاً عن طريق إرسال إنذار أخير إليه والذي رفضه، ثم بالانضمام إلى أعضاء الإصلاح في مجلس الوزراء، جوزيف كوران موريسون (١٨١٦-١٨٨٥)، في الاستقالة منها في ٢١ آيار، ولم يكن لدى مكناب خيار سوى وضع جهوده تحت تصرف الحاكم العام ادموند ووكر هيد (١٨٠٥-١٨٦٨)، وتولى الدور القيادي الذي كان سيشغله لبقية حياته[٥١].

كان نهج جون أ. ماكدونالد في السلطة واضحًا، فقد دافع عن دعم الدولة للتعليم، وعارض إلغاء البكورة (التي تنص على أنه عندما يموت مالك العقار دون أن يترك وصية، فأن ابنه الأكبر يرث كل شيء)، وظهر كخبير سياسي يؤمن بالسعي لتحقيق أهداف عملية من خلال الممارسة العملية[٥٢]، وقبل الاتحاد كان يشترك في توجيهات الحكومة وحزبه مع زعيم كندي فرنسي، خاصة بعد تشرين الثاني ١٨٥٧، عندما تولى جورج اتيان كارتييه (١٨١٤-١٨٧٣) المسؤولية، إذ حافظ على مركزه في شؤون الحزب في القسم الخاص به من مقاطعة كندا، فقد كان كبير الاستراتيجيين ومنظم الحملة الانتخابية، وتدخل مباشرة للتأكد من أن المرشحين المناسبين تم ترشيحهم، ونصح المرشحين بشأن السياسة وقام بترتيب تمويل الانتخابات، وحاول الحصول على دعم الكتلة من عدد من المجموعات الكبيرة، مثل اتباع الكنائس الكاثوليكية، من خلال مناشدة قادة تلك المنظمات، وعلى الرغم من بذل قصارى جهده، إلا أنه لم ينجح في الفوز بالانتخابات في كندا العُليا، وفي عام ١٨٦١، بعد أول جولة مكثفة وحملة دعا فيها إلى اتحاد بريطاني ورفع نداء الولاء القديمة "لا تنظر لواشنطن"، حقق مرشحوه أغلبية صغيرة فقط من مقاعد كندا العُليا، وفي الانتخابات التي جرت تحت إدارته في المدة (١٨٥٧-١٨٥٨)، وعام ١٨٦٣، هُزم حزب المحافظين في كندا العُليا[٥٣].

لاحقت الهزائم مسيرة جون أ. ماكدونالد، إذ لم يكن عمله التجاري ناجحًا بشكل دائم، إذ خسر كثيرًا أثناء الكساد في عام ١٨٥٧، بسبب وجود الكثير من الأراضي غير القابلة للبيع والتي كان عليه أن يواصل سداد المدفوعات عليها، وفي ستينيات القرن التاسع عشر، عانى من انتكاسات خطيرة بسبب الموت المفاجئ لشريكه القانوني ا.ج.ماكدونيل، وانهيار البنك التجاري، الذي قدم لهم قروض، ومع ذلك، تمكن من تجنب الإخفاق، حيث استمر في جني الدخل الجيد من شراكته في المكتب القانوني، ومن بيع وتأجير العقارات[٥٤].

شغل جون أ. ماكدونالد منصب رئيس وزراء مقاطعة كندا في المدة (١٨٥٦ - ١٨٦٢) [٥٥]، حيث اعتقدت الحكومة بأن كندا الشرقية لها تأثير قوي على المقاطعة السياسة الكندية، فقد تعرض جورج براون من تورنتو غلوب لضغوط من جون أ. ماكدونالد لعقد تحالف سياسي جديد من شأنه إحداث تغيير دستوري للكنديين، مما دفعه لإجراء أول مناقشات جادة حول الاتحاد، فقد أدرك أن هناك حاجة إلى حكومة يمكنها استيعاب الاختلافات العرقية والدينية واللغوية التي تواجه كندا، وفضل تشكيل حكومة اتحادية موحدة قوية ضمن الاتحاد الكندي المقترح، وفي عام ١٨٦٧ في شارلوت تاون وبالتعاون مع قادة من مختلف أنحاء المقاطعة، تم إنشاء اتحاد كندا في الأول من تموز عام ١٨٦٧، وفي نفس اليوم، تم تعيينه رئيسًا لوزراء اتحاد كندا من قبل الحكومة كحاكم العام، وحصل على لقب الفارس في اليوم نفسه[٥٦].

درست المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية الفوائد التي يمكن جنيها من إقامة الاتحاد بحلول أوائل ستينيات القرن التاسع عشر، حيث خلقت الحرب الأهلية الأمريكية قوة عسكرية جديدة وتهديدًا متجددًا للمستعمرات الصغيرة المقسمة في الشمال، وكان الرأي العام البريطاني يؤيد خفض الإنفاق الحكومي في أمريكا الشمالية، وخاصة على الدفاع[٥٧]. وبالتزامن مع ما تقدم، نشأت فكرة الاتحاد في كندا كحل للمشاكل وكان المقصود منها إعطاء ميزة لكندا قبل كل شيء، ولم تنبثق مثلاً من طموحات سكان جزر الأمير إدوارد، ولم تكن تعبيرًا عن أحلام سكان نيوفاوندلاند، كما أنه لم يكن مخططًا تم وضعه في هاليفاكس، فقد كان ت هناك مصالح راسخة ترى في اتحاد المستعمرات مصدرًا للربح، وبالنسبة لبعض القادة الذين تصوروا إمكانيات كيان سياسي أكبر وأكثر تعقيدًا، كان الحديث قد جرى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كهدف عن الدولة القوطنية، ومن المهم التذكير بأن قرار الانضمام إلى الاتحاد جرى اتخاذه من قبل السياسيين وليس عن طريق الاستفتاء [٥٨].

نظمت المقاطعات نوفا سكوشا، جزيرة الأمير إدوارد، نيو برونزويك ونيوفاوندلاند مؤتمرًا لمناقشة الاتحاد فيما بينها في أيلول ١٨٦٤، إذ طلب الحاكم العام دعوة مقاطعة كندا إلى

محادثاتهما للتأكد مما إذا كان الاتحاد المقترح قد لا يشمل مقاطعات أمريكا الشمالية البريطانية، فقد سافر أبرز السياسيين الكنديين عبر نهر سانت لورانس على متن باخرة لحضور المؤتمر في جزيرة الأمير إدوارد، وكان على متن الباخرة: جون إ. ماكدونالد، حيث سافر إلى شارلوت تاون بدافع مختلف، إذ كان قلقًا من الخطر الأمريكي، ويشعر أن بإمكان المستعمرات البريطانية الموحدة، مقاومة جارتها القوية[٥٩].

واجه جون أ. ماكدونالد معارضة متزايدة في كندا الغربية للاتحاد مع كندا الشرقية في الأعوام (١٨٥٤-١٨٦٤)، إذ كانت وجهة نظر الإصلاحية، التي عبر عنها جورج براون من تورنتو كلوب، هي أن الاحتياجات والتطلعات المشروعة محبطة بسبب هيمنة النفوذ الفرنسي الكندي في حكومة جون أ. ماكدونالد وجورج اتيان كارتييه، وبحلول عام ١٨٦٤، وصلت القوى السياسية في المقاطعة إلى طريق مسدود، ووافق جون أ. ماكدونالد على مضض على اقتراح براون بتشكيل تحالف جديد من المحافظين من أجل التغيير الدستوري، حيث أدى جون أ. ماكدونالد والتحالف دورًا رئيسيًا في اتحاد أمريكا الشمالية البريطانية في عام ١٨٦٧، والذي جمع أربع مقاطعات جديدة (اونتاريو، كيبيك، نيو برونزويك، ونوفا سكوشا) كنواة لتشكيل اتحاد كندا[٦٠].

عمل جون أ. ماكدونالد على دعم حركة الاتحاد طوال ستينيات القرن التاسع عشر، إذ كانت هناك حركة لتوحيد المقاطعات البحرية منذ عدة أعوام، وعندما أبدت مقاطعة كندا اهتمامًا بالاتحاد، وعُقد مؤتمر في شارلوت تاون في ١ أيلول ١٨٦٤، وكانت كل مقاطعة تتنافس مع قواتها المناهضة للاتحاد، وكانت نيوفاوندلاند ترفض الاتحاد تمامًا، وشعرت المقاطعات البحرية الأكثر ازدهارًا أن الاتحاد سيضعف استقلاليتها، وفي كندا الشرقية كانت هناك مخاوف من أن الاتحاد سيضعف المصالح الفرنسية الكندية[٦١]. لاحقًا، أصبح الطريق ممهدًا لجون أ. ماكدونالد لأن يصبح رئيس وزراء كندا، وتكون له بصماته العميقة في إدارة تلك الدولة الفتية.

## خَاتِمَةٌ

يمكن الاستنتاج مما سبق، أن جون أ. ماكدونالد كان قد نشأ في إحدى البلدات الكندية بعد هجرة والديه من إسكتلندا مثل الكثير من العوائل المهاجرة الأخرى، واللذين لم يوفرا جهدًا في توفير الأساس السليم لتربيته عبر تشجيعه لارتياد المدرسة في وقت مبكر، مما أثر إيجابيًا عليه، ليصبح محاميًا ذائع الصيت في منطقته وهو لايزال في ريعان شبابه.

يستنتج أيضًا، إن جون ا. ماكدونالد، اشتغل فضلاً عن عمله في المحاماة، في التجارة والعقارات الأمر الذي رسخ من خبرته الاقتصادية، ودفعه لخوض مضمار السياسية، حيث تراوح عمله في السياسة في العديد من المناصب وتسلم مناصب كثيرة، زادت من خبرته ودفعته إلى المقدمة، ليكون من أشد المدافعين لإنشاء اتحاد كندا، مع عدد من رفاقه المقربين، وبذلك يُعَدّ من أبرز مَنْ ساهم في تأسيس دولة كندا الحالية.

كذلك يمكن الاستنتاج، أن جون ا. ماكدونالد قام قبل تسلمه للمنصب الأول في البلاد بدور مهم، إذ عمل على دفع الأمور نحو تحرر المقاطعات الكندية من قبضة السلطات البريطانية المتشددة، ودوره ذاك هو الذي أسس لمستقبله السياسي والذي أصبح عن طريقه رئيسًا لوزراء كندا لمرتين، وليكون من أشد الساسة الكنديين تأثيرًا على مستقبل بلاده من دون منازع.

## الاحالات المرجعية:

(1) Yves Y. Pelletier, The Old Chieftain's New Image: Shaping the Public Memory of Sir John A. Macdonald in Ontario and Quebec, 1891-1967, A thesis submitted to the Department of History in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Queen's University Kingston, Ontario, Canada December 2010, pp.19-36.
(2) Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(3) J. H. Aitchison, Sir John A. Macdonald: Nation-Builder, The Canadian Journal of Economics and Political Science / Revue canadienne d'Economique et de Science politique Vol. 22, No. 4 (Nov., 1956), pp. 549- 552.
(4) Donald Creighton, John A. Macdonald: The Young Politician. The Old Chieftain, University of Toronto Press, 1998, p.15.
(5) Sir John Macdonald prime minister of Canada. https://www.britannica.com
(6) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(7) The Right Honourable Sir John A. Macdonald. https://www.craigmarlatt.com
(8) Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(9) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(10) Sir John Alexander Macdonald - Canada's 1st Prime Minister. https://www.bac-lac.gc.ca
(11) Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(12) Sir John Alexander Macdonald - Canada's 1st Prime Minister. https://www.bac-lac.gc.ca
(13) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(14) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(15) James Forbes, "God Has Opened the Eyes of the People": Religious Rhetoric and the Upper Canada Rebellion of 1837, Journal for the Study of Radicalism Vol. 12, No. 1 (2018), pp. 1-17.
(16) R. A. MacKay, The Political Ideas of William Lyon Mackenzie, The Canadian Journal of Economics and Political Science / Revue canadienne d'Economique et de Science politique Vol. 3, No. 1 (Feb., 1937), pp. 1-13.
(17) Phillip A. Buckner, Rebellions of 1837–38. ttps://www.thecanadianencyclopedia.ca
(18) Union Act 1840. https://www.parliament.uk
(19)Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(20)Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(21)Francess G. Halpenny, Dictionary of Canadian Biography, Volume 12, Tornto,1999, p. 593.
(22) Bryan D. PALMER, Kingston Mechanics and the Rise of the Penitentiary, 1833-1836, p. 7.
(23)Jarett Henderson, "Uncivil Subjects: Metropolitan Meddling, Conditional Loyalty, and Lord Durham's 1838 Administration of Lower Canada", York University, 2010,pp.27-36.
(24) Bruce Curtis, The State of Tutelage in Lower Canada, 1835–1851, Cambridge University Press, 2017, pp.13-28.
(25) John S. Moir, Church and the State in Canada West, 1841-1867, University of Toronto Press, 1968, pp.5-18.
(26) Union Act 1840. https://www.parliament.uk
(27) The Right Honourable Sir John A. Macdonald. https://www.craigmarlatt.com
(28) Sir John Macdonald prime minister of Canada. https://www.britannica.com
(29) Sir John Alexander Macdonald - Canada's 1st Prime Minister. https://www.bac-lac.gc.ca
(30) Responsible Government. https://nslegislature.ca.
(31) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(32) The Right Honourable Sir John A. Macdonald . https://www.craigmarlatt.com
(33) Sarah Taekema, Sir John A. Macdonald's Influence on the Development of Canadian Indigenous Policy, 1844-1876, A Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in the Department of History, University of Victoria,2020,pp. 16-33.
(34)The Right Honourable Sir John A. Macdonald. https://www.craigmarlatt.com
(35) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(36) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(37) The Right Honourable Sir John A. Macdonald. https://www.craigmarlatt.com
(38) Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(39) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(40) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(41) Various, A Cyclopaedia of Canadian Biography: Being Chiefly Men of the Time, 2019,pp.
(42) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca

(43)Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(44) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(45)David Mills, Durham Report. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(46) Ged Martin, Empire Federalism and Imperial Parliamentary Union, 1820–1870, Cambridge University Press, 2009, pp. 66-75.
(47) Rod Preece, The Political Wisdom of Sir John A. Macdonald, anadian Journal of Political Science / Revue canadienne de science politique Vol. 17, No. 3 (Sep., 1984), pp. 459- 463.
(48) Ibid, pp. 464-469.
(49) Sir John Macdonald prime minister of Canada. https://www.britannica.com
(50) Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(51) Ibid
(52)Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(53)Macdonald ,Sir John, Dictionary of Canadian Biography. http://www.biographi.ca
(54) Ibid
(55) Sir John Alexander Macdonald - Canada's 1st Prime Minister. https://www.bac-lac.gc.ca
(56) Sir John A. Macdonald, lawyer, businessman, first and third Prime Minister of Canada 1867-1873. http://cmod.ca
(57) The Charlottetown Conference. https://www.cbc.ca
(58)Atlantic Canada and Confederation. https://opentextbc.ca
(59) The Charlottetown Conference. https://www.cbc.ca
(60)Sir John A. Macdonald. https://www.thecanadianencyclopedia.ca
(61) Sir John Alexander Macdonald - Canada's 1st Prime Minister. https://www.bac-lac.gc.ca